

الفصل الثاني

نتائج و مقدمات

سبق أن أكدنا في مقدمة هذه الدراسة على أن الفهم الصحيح لمشكل التعليم ، كما تعانى منه بلادنا اليوم ، يتطلب تعرية جذوره والكشف عن طبيعة هيكله وحقيقة المضامين التى يحملها ، سواء منها تلك التى ورثها من الوضعية العامة التى سادت في مغرب ما قبل الحماية ، أو تلك التى حملتها إياه سلطات الحماية نفسها . . . وكنا قد أشرنا إلى أن القيام بهذه المهمة يمكن أن يتخذ أحدي سبعين ، أو كليهما مما : الأولى : البحث عن المبادئ والأسس النظرية التى اقامت عليها الحماية تعليمها في المغرب ، وذلك بالاعتماد على الوثائق التى تكشف عن نوايا أصحابها وتعرض مخططاتهم مع كل ما تحمله من مضامين اجتماعية وسياسية وايديولوجية ، وهذه هى السبيل الذى سلكناها في الفصل السابق . أما السبيل الثانية ، وهى التسعيتم سلوكها في هذا الفصل ، فهى محاولة الكشف عن تلك الاسس والمضامين من خلال استعراض الواقع ، أي من خلال دراسة النتائج التى تشكل بطبيعة الحال ، المقدمات التى قام عليها تعليمنا الحالى ، والتربية التى ثبت فيها مشكل الذى نتحدث عنه ، مشكل التعليم في مغرب الاستقلال .

يتعلق الامر اذن ، في هذه الحلقة ، بدراسة حصيلة اتسواع التعليم التي تواجدت أثناء الحماية ، سواء منها ما كان قائمًا قبلها واحتفلت به

بشكل من الاشكال ، او ما اقامته الحماية نفسها ليكون « التعليم الرسمي » الذي يخدم عادة ايديولوجية السلطات الحاكمة ومصالحها الاقتصادية والسياسية ، او ما انشائه الحركة الوطنية ليكون بمثابة النقيض لذلك « التعليم الرسمي » ، نقيضه السياسي والايديولوجي خاص .

ولعله من نافلة القول ، التأكيد هنا ، على اننا لا نهدف من وراء استعراض حصينة عمل فرنسا التعليمي في المغرب ، الى ادانة الحماية الفرنسية من جديد ، في ميدان عرفت الحركة الوطنية المغربية كيف تشهر به وتتركز عليه عملها الدعائى — السياسي في الداخل والخارج ، خلال نضال شعبنا ضد الحكم الاستعماري . كما انه من المفيد الاشارة هنا الى اننا لا نرمي الى التاريخ للتعليم بالمغرب تاريخا يتبع مراحله وجزئياته وتفاصيله ، وانما نريد فقط ، من محاولتنا هذه ، ابراز بعض الحقائق واللاحظات الاساسية التي تثبت ان الحماية الفرنسية قد طبقت فعلا ، ويكييفية اجمالية ، مخططها التعليمي الذي كشفنا قبل عن اهم جوانبه ، وبالتالي ابراز حقيقة الاطار العام ، الاجتماعي والسياسي والايديولوجي ، الذي تحرك ضمن حدوده تعليمنا الراهن منذ الاعلان عن الاستقلال الى ايمان . ان الكشف عن هذا الاطار العام فهو من الامامية بمكان بالنسبة لهم واقعنا التعليمي الراهن ، شكلا ومضمونا ، وبالتالي لفهم الابعاد الحقيقية السياسية والاجتماعية والفكرية ، لهذا المشكل المزمن ، مشكل التعليم .

— * —

نكتسى كل من سنة 1930 وسنة 1944 اهمية خاصة بالنسبة بتاريخ المغرب الحديث . انهم تشكلان ، كلا على حدة ، نقطة تحول هامة . ان سنة 1930 هي السنة التي اختارها الفرنسيون للإعلان عن الشروع فى تطبيق مخططهم الاستعماري — الظهير البربرى — الذى كان يهدى الى النيل

بكيفية مباشرة وخطيرة من الكيان المغربي ، الاجتماعي والسياسي والديني والثقافي ، وذلك بالفصل في سكان المغرب ، بين ما كانت تسميه سلطات الحماية « العنصر العربي » من جهة و « العنصر البربرى » من جهة ثانية ، فصلا حضاريا شاملًا ، كان المقصود منه فرنسة القسم الأكبر من الشعب المغربي ، هذا القسم الذي لم يكن قد استسلم بعد بكيفية نهائية لسلطات الاحتلال .

لم يكن الظاهر البربرى في واقع الامر ، الا التعبير القانوني لسياسة دأب دهافة الاستعمار الفرنسي على التخطيط لها منذ أن عقدوا العزم على احتلال المغرب ، أى منذ أواخر القرن الماضى ، وبكيفية خاصة منذ أوائل هذا القرن .

نعم ، ان صدور هذا الظهير عام 1930 كان في الحقيقة والواقع بمثابة ورقة الوفاة التي سجلت موت ذلك المخطط الاستعماري وهو في مهده ، وورقة الميلاد التي أعلنت عن قيام الحركة الوطنية المغربية ، ولكن مع ذلك فإن ما عرف بـ « السياسة البربرية » الفرنسية ، قد خلفت آثارا لا يجوز اهمالها ، خصوصا عند ما يتعلق الامر بالميدان الذي يهمنا هنا ، ميدان الثقافة والتعليم .

لقد عممت الحماية الفرنسية ، في هذا الميدان إلى إنشاء ما اسمته بـ « المدارس الفرنسية - البربرية » ، وهى المدارس التي كان المهد منها إنشاء جيل مقطوع الصلة تماما بالتراث العربى الإسلامى من جهة ، ومتسبع ، أكثر ما يمكن ، بالتراث الفرنسي والقيم الحضارية الغربية المسيحية ، من جهة أخرى ، مما يمهد الطريق لعملية واسعة النطاق ، عملية استيعاب الشعب المغربي ، وجعله سياسيا وحضاريا تابعا إلى الأبد لفرنسا باعتباره ذيلا من ذيول الحضارة الغربية المسيحية .

وحتى نأخذ فكرة واضحة عن الاعداف الحقيقية التي كانت الحماية الفرنسية تتواهها من وراء هذه المدارس ، نترك الكلمة مرة أخرى للمسيو مارتي يحدتنا عنها بالصراحة التي عهذناها فيه من قبل . لقد تعرض إلى هذا النوع من المدارس بتفصيل ، فيبين أصول نشأتها والاعداف المتواهة منها : هو يشرح أولاً ، كيف أن هذه المدارس (المدارس الفرنسية-البربرية) قد توئي فتحما أول الأمر ، في البادية المغربية ، وبكيفية خاصة في المناطق الجبلية ، جهاز الاحتلال العسكري من ضباط وكتاب في القيادة العامة للجيش الفرنسي ، وبإشراف المكلفين بالحرب السيكولوجية ، مما جعلها تتنفس في أول أمرها إلى « الانظومة الاستعمارية » ، انظومة حرف (د) التي تسبق التنظيم المنمق » . وهذا يعني بكلام الوضوح أن هذه المدارس كانت عند نشأتها عنصراً من عناصر عملية الاحتلال العسكري ، عنصرها السيكولوجي بكيفية خاصة : « ان المدفع يدفع الثوار ، والمدرسة تجلب السكان » . كان ذلك هو شعار دعائنة الاستعمار الفرنسي والمخططين لسياسة الاحتلال .

هذا من حيث نشأة هذه المدارس ، أما من حيث تحولها إلى عنصر أساسي في السياسة البربرية التي بدأت تطبقها سلطات الحماية منذ بداية العشرينات من هذا القرن ، بعد أن أحرز جهازها العسكري على تقدم واسع في عملية الاحتلال ، فان المسيو مارتي يحدتنا عن ذلك بصراحة ووضوح ، فيقول :

« لقد حصل الاتفاق بين ادارة التعليم العمومي وادارة الشؤون الاهلية ، وتحددت بذلك مبادئ سياستنا التعليمية البربرية ، بكلام الدقة . ان الامر يتعلق هنا بمدارس فرنسية - بربرية ، مدارس تضم صغار البربر ، يتلقون فيها تعليماً فرنسياً محضاً ، ويسطير عليهما اتجاه مهنى ، ملاحم بالخصوص . ان البرنامج الدراسي في هذه المدارس يشتمل على دراسة

تطبيقية للغة الفرنسية ، لغة الحديث والكلام ، بالإضافة إلى مبادئ الكتابة والحساب البسيط وننف من دروس الجغرافية والتاريخ وقواعد النظافة ودروس الأشياء ... إن المدرسة الفرنسية - البربرية ، هي آن ، مدرسة فرنسية بالعلميين ، ببربرية بالتلמיד ... وليس هناك أى مجال لاي وسيط أجنبي . إن أى شكل من أشكال تعليم العربية ، إن أى تدخل من جانب القديم ، إن أى ظهر من المظاهر الإسلامية ، لن يجد مكانه في هذه المدارس ، بل سيقصى منها جميع ذلك بكل صرامة ... »

بعد هذا التحديد الواضح ل الهوية هذه المدارس ينتقل المسيو مارتي إلى شرح مراحل تنفيذ المشروع الخاص بها ، وهو مشروع تمت المصادقة عليه بن طرف سلطات الحماية في أواخر شهر ماي سنة 1923 . وهذا يشير إلى أن « الضابط الذي تكلف بتطبيق المشروع قد أسعده الحظ ، لكونه كان معززاً في مهمته ، خطوة خطوة بوحد من المع المختصين في انتشرون الإسلامية وفي الاستشراق الفرنسي ، الا وهو المسيو « لويس ماسينيون » الاستاذ بالكوليج دي فرنس » .

لقد بدأ تطبيق المشروع في الحين ، فأنشئت عدة مدارس من هذا النوع في الكوبر من السنة نفسها (سنة 1923) في مناطق من جبال الأطلس ، خامسة في إيموزار ، وعمر الشراك بناحية فناس ، وأزروأ وعين اللوح بناحية مكتناس ، وخنيفرة والقباب ، بالإضافة إلى مدرسة هرمومو بناحية تازة . « والخلاصة هي أن هذه المدارس الفرنسية البربرية ستكون أجهزة لتطبيق السياسة الفرنسية ومراكز للدعية ... »

هذا والجدير بالإشارة هنا ، إن هذه السياسة البربرية التي خطط لها على مستوى المدارس الابتدائية ، قد خطط لها كذلك على مستوى الدراسة الثانوية و « التعليم العالي » . فبالنسبة للدراسة الثانوية نشير إلى ثانوية

ازرو التي أستablished عام 1927 كمدرسة جمومية في «المناطق الثائرة» والقى تحولت الى ثانوية ابتداء من عام 1931 ، (لقد ظلت هذه الثانوية خاصة ببناء القبائل الاطلسية حيث كانوا جميعهم داخلين يختارون بكل عنابة ، وذلك الى حدود سنة 1948) . أما بالنسبة للتعليم العالى فقد تم انشاء «معهد الدراسات المغربية العليا» بالرباط الذى تحول غداة الاستقلال الى كلية الاداب . لقد أسمى هذا المعهد عام 1914 تحت اسم : المدرسة العليا الفرنسية — البريرية ، ثم تحول سنة 1920 الى «معهد الدراسات المغربية العليا» حيث احتلت دراسة اللهجات البريرية والاثنوفرافيا والنوكلور المغربي مكان الصدارة فيه » .

تلك ، باختصار ، المدارس الفرنسية — البريرية ، وأهدافها الحقيقة الواضحة . وقد أتينا على ذكرها هنا ، على الرغم من نشل الاطار العام الذى وضعنا فيه ، آطار السياسة البريرية الذى عرفت بدايته فشلها بتصور الظاهر البريرى سنة 1930 ، لأننا ستصادف آثارها باعتبارها عنصرا من العناصر المكونة لحمولة التعليم الفرنسى في بلادنا ليلة الاستقلال .

* - *

وإذا كانت سنة 1930 قد سجلت ، كما قلنا ، تاريخ وفاة السياسة البريرية وميلاد الحركة الوطنية ، فإن سنة 1944 ، قد سجلت بدورها تغيرا نوعيا هاماً ذا اتجاهين متكاملين : الأول هو نشل السياسة التعليمية الفرنسية كل ، والثانى تحول الحركة الوطنية المغربية من حركة مطالب اصلاحية ، الى حركة تضالية كثفت أهدافها — ذات الطابع الاصلاحي دوما — في شعار الاستقلال .

وهنا سنجد أنفسنا ، ابتداء من عام 1944 ، أمام حدثين هامين فى الميدان الذى يهمنا ، ميدان التعليم . نابتداء من هذه السنة أخذت سلطات

الحماية ندخل تعديلات « أساسية » في سياستها التعليمية ، كما أخذت الحركة الوطنية بدورها تجد في فتح المدارس العربية الوطنية الحرة مع ما رافق ذلك من تحرك أوسع نطاق القرويين وكلية ابن يوسف بمراكنش ضمن إطار النضال من أجل الاستقلال ونشر الثقافة العربية الإسلامية بشكل أقل جمودا مما كان عليه الأمر من قبل .

واذن ، فقد تطور التعليم في المغرب ، على مهد الحماية ، بوصفه قطاعا من قطاعات الحياة المغربية العامة ، السياسية والاجتماعية والفكرية ، وبالتالي خضع نفس الونتار من التطور التي خضعت لها الأوضاع العامة في البلاد .

بعد التأكيد على هذه الحقيقة التي يجب أن لا تغيب عن أذهاننا قط سواء عند دراستنا للتعليم قبل الحماية أو اثناءها أو بعدها ، نسجل المعطيات التالية بخصوص تطور التعليم في المغرب الحماية ، وهي معطيات لا بد من ابرازها والتركيز عليها قبل دراسة مشكل التعليم كما ظهر بعد الاستقلال ، وكما نعاني منه اليوم .

1 — ان غسل السياسة البريرية ككل — وكان ذلك نتيجة مقاومة داخلية ورد فعل خارجي قادتها معا الحركة الوطنية — قد ادى بطبيعة الحال الى اخفاق تجربة « المدارس الفرنسية — البريرية » وهي ما تزال في مهدها . وفعلا فقد تم التخلص منها تماما ، فيما عدا ثانوية ازرو التي ظلت الى حدود 1948 محتفظة بطبعها الالاعيب ، والتي بقيت تعانى منه الى ما بعد الاستقلال .

لقد كان التخلص من هذه المدارس انتصارا تاريخيا حققه الكيان المغربي ضد خطة كانت تستهدف ضريبه في الصهيون .. هذا امر صحيح اكيد ، ولكن مع ذلك يجب ان لا نغفل حقيقة هامة وهي ان التخلص عن هذه المدارس تم

يعقبه انشاء مدارس اخرى بديلة ، من النوع السادس في آلمن ، بل يقيت المناطق الجبلية في بلادنا ، على كثرتها ووفرة سكانها ، محرومة من كل تعليم فيما كان نوعه . وحتى الكاتيب القرآنية التي كانت منتشرة في هذه المناطق قبل الاحتلال الفرنسي قد تعرضت للاغلاق تطبيقاً لسياسة البربرية . ولما تم العدول عن هذه السياسة لم تسمح سلطات الحماية باعادة فتحها ، او انشاء كتالب أخرى .

كل ذلك جعل قسمًا هاماً من الشعب الغربي يبقى معزولاً ، محروماً من اي عمل تعليمي تربوي الشيء الذي كانت له انعكاسات خطيرة فيما بعد ، وخاصة غدأة الاستقلال . وهل نحن هنا في حاجة الى التأكيد على حقيقة مرة ، وهي ان جميع الاطر الصغيرة والمتوسطة والعلمية التي تسلمت مراكز المسؤوليات من ايدي الفرنسيين غدأة الاستقلال لم يكن من بينها الا افراد قلائل من ينتهيون الى هذه المناطق التي نتحدث عنها ؟ وهل نحن في حاجة الى الاشارة الى ان قبائل هذه المناطق قد وجدت نفسها غدأة الاستقلال تشمر ، نتيجة ذلك ، بانها « غير داخلة في الحساب » ، مما جعلها مستعدة سيكولوجيا للتلاوب بشكل او باخر مع كل من يضرب على هذا الوتر ؟

2 - على ان الذى قلناه بخصوص المناطق الجبلية التى استهدفتها السياسة البربرية الفرنسية ، يصدق ايضاً على مجموع الباادية المغربية التي ظلت طوال عهد الحماية محرومة من التعليم الحديث ، ولو انها قد احتفظت بدرجات متفاوتة بالتعليم العربى التقليدى المتملل في الكاتيب القرآنية .

لقد ركزت سلطات الحماية تعليمها ، على ضالته ومحدوديته ، فى المدن الكبرى خاصة ، مما جعل الجماهير القروية تبقى هي الاخرى غائبة او تขาด ، عن العالم الجديد ، عالم الاستقلال . وفي هذا الصدد يمكن للمرء أن يجزم بأنه الى حدود سنة 1946 لم تكن هناك في الباادية المغربية اية

مدارس حديثة . أما ما كان يسمى بـ « المدارس القروية » ، على قلتها ، فقد بقيت أسماء بدون مسمى ، لقد كانت عبارة فقط عن صنوف أولية يلتحق بها بعض الأطفال بدون انتظام ويغادرونها نهائياً وهم دون مستوى الشهادة الابتدائية بكثير .

نعم لقد كانت هناك تجربة « اريك لابون » ، الذي عين مقينا عاماً بالغرب في 30 مارس 1946 . ولكن هذه التجربة نفسها قد حللت معها منذ الإعلان عنها بذور فشلها . لقد جاء « مشروع لابون » بعد أن نات الاوان : فالإصلاحات القروية التي كانت تستهدف ذر الرماد في العيون ، والتي ركز عليها هذا المشروع ، قد تعذتها المطالب الوطنية التي أصبحت مكتنة كما ثلتا في شعار الاستقلال ، هذا علاوة على أنه لقى معارضة شديدة من جانب المعمرين وأصحاب رؤوس الأموال من المستعمر .

لقد كان « اريك لابون » يهدف من وراء مشروعه إلى مقاومة التيار الوطني أو التخفيف منه بعد أن أصبح متدا إلى أوسعجماهير الشعبية عقب الإعلان عن وثيقة الاستقلال ، وثيقة 11 يناير 1944 . كان الفرض منه تخفيض درجة الاستيلاء في أوساط الشعب المغربي ، وخاصة لدى النبات الفقيرة ، وذلك بخلق « انماش وطني » مزييف ، « انماش » اجتماعي اقتصادي وثقافي يصرف جماهير الشعب من المطالب الوطنية والتضليل الوطني ، وكان المسالة كلها هي الحصول على « لقمة خبز » أو متح هياكل مدرسية . . .

على أن الذي يهمنا هنا من مخطط « لابون » هو الجانب التعليمي منه . وتتلخص أهدافه في هذا المجال في محاولة « القضاء » على الأمية لدى الأطفال المغاربة ، خاصة سكان البدوية والقرى . وذلك بانشاء مدارس عرفت باسم *Les écoles foraines* مدارس يجند للعمل فيها كل من

يستطيع تلقين الاطفال مبادئ القراءة والكتابة سواء كان مؤهلاً للتعليم او غير مؤهل ، ويتولى الاشراف عليها أولئك الذين تكلموا بتطبيق المشروع العام ، مشروع الاصلاح القروي الذي كان يشكل العمود الفقري في مخطط لابون الاقتصادي والاجتماعي . لقد كان هذا المشروع « توريا » في شكله ، ولكنه رجعى استعماري في مضمونه ، فركز الوظيفيون على مضمونه الرجعي مقاوموه ، وعارض المعمرون شكله « الثوري » فحطموه ، مما جعله يبقى مشلولاً خلال الشهور التي عاشها الى ان تم التخلص عنه بكيفية نهائية بعزل صاحبه وتعيين الجنرال جوان مكانه ، وذلك عقب الاحسادات الدموية والسياسية التي عرفتها سنة 1947 . (الحوادث الدموية بالدار البيضاء وخطاب محمد الخامس بطنجة) .

واذن لقد بقى ما كان على ما كان : ظلت الباادية المغربية عموماً محرومة من التعليم ، فبقى ابناءها في نفس الوضعية التي عاش فيها آباءاً لهم من قبل ، يتذمرون في باديتهم ، او يهاجرون الى المدن الكبرى طلباً للشغل . نعم لقد شاركت الباادية المغربية مشاركة فعالة في النضال من اجل الاستقلال ، وتشكلت من ابناءها الجماعيات الفدائية وحركة المقاومة وجيش التحرير ، ولكن ابناء الباادية ظلوا عموماً ، سواء في مساقط رؤوسهم او في المدن التي هاجروا اليها ، محروميين من الثقافة والتعليم ، الشيء الذي انعكس اثره على حركة المداء والتحرير نفسها ، وعلى وضعيه ابناء الباادية الذين ظلوا غداة الاستقلال بعيدين عن المشاركة في تولى المسؤوليات وتسخير دوالب الدولة .

3 — ان الحاجنا على غياب التعليم في الباادية المغربية عموماً ، يجب ان لا يفهم منه ان جماهير المدن قد كانت احسن حظاً في هذا الميدان . لعد بقى التعليم الفرنسي في المغرب تعليم نخبة ، ضيق الانتشار ، قليل المردود ، كما يتجلی ذلك من البيانات التالية :

— بخصوص الفترة الاولى ، فترة ما بين سنة 1912 وسنة 1945 ، يمكن ان نكون لنفسنا فكرة واضحة عن حصيلة التعليم الفرنسي في المغرب من خلال الاحصاءات التالية :

— لم يكن مجموع الاطفال المغاربة الذين ضمتهن المدارس الفرنسية حتى سنة 1920 يتعدى سبعة آلاف طفل !

— في سنة 1938 كان مجموع تلاميذ المدارس الابتدائية المخصصة للاطفال المغاربة المسلمين لا يتجاوز 23.270 طفل (مقابل 608 تلميذ فرنسي الثانوى) هذا في حين كان عدد تلاميذ المدارس المخصصة لتعليم ابناء الاوروبيين يتجاوز 34.000 تلميذ ، وعدد تلاميذ المدارس المخصصة لتعليم ابناء اليهود يتجاوز 19.000 طفل . ويمكن ان نتبين الدلاله العميقه لهذه الارقام اذا لاحظنا ان عدد السكان الاوربيين لم يكن يتجاوز واحدا من ثلاثة من السكان المغاربة ، كما ان عدد افراد الجالية اليهودية لم يكن يتعدى واحدا من سبعة وثلاثين بالنسبة الى المغاربة المسلمين ! اما بالنسبة للميزانية فقد ظل نصيب التعليم المخصص لابناء الاوروبيين ضعف النصيب المخصص لتعليم ابناء المغاربة .

— اما في سنة 1945 اي بعد اثنين وثلاثين عاما من الحماية فلم يكن عدد الاطفال المسلمين المسجلين في المدارس الابتدائية يتجاوز 41.490 طفل (مقابل 1.003 في الثانوى) . وهذا يعني ان نسبة الاطفال المغاربة المسلمين الملتحقين بالمدارس لم تكن تتجاوز 27% بالنسبة لمجموع الاطفال البالغين سن الدراسة .

— اما من حيث النتائج فان الاحصائيات تشير الى انه لم يحصل على البكالوريا الاولى طوال الفترة الممتدة ما بين 1926 و 1936 سوى 30 تليذا مغربيا ، اما البكالوريا الثانية فلم يكن حاملوها طوال العشر سنوات

المذكورة يتتجاوز 20 فردا . وفي المستوى الجامعي لم يكن هناك الا مغربية واحد مسلم من المجازين في الحقوق .

— وعلى العموم فإن حصيلة التعليم الفرنسي في المغرب منذ قيامه إلى حدود سنة 1944 كانت كما يلى : 3 أطباء ، 6 محامين ، 6 مهندسين فلاحيين . أما بالنسبة لاطر التعليم فلم يكن هناك الا « المدرسون » اي الذين يدرسون اللغة العربية دون أن يكون لهم من الأهلية العلمية او البيداغوجية ، ما يسمح لهم بالالتحاق بسلك المعلمين . أما الملتحقون بالمدارس الاعدادية للمعلمين فلم يكن عددهم يتجاوز سنة 1943 - 1944 اربعة مغاربة كمعلمين ، و 14 مغرياً كمساعدين للمعلمين !

ان هذه النتائج المزيلة التي أسفر عنها تعليم الحماية الفرنسية في المغرب بعد أكثر من ثلاثين سنة من قيامه ، يكشف عن حقيقة هامة ، وهي انه تعليم لا مردود له . ان الأطفال الذين كانوا يلتحقون بالمدارس الابتدائية على قلة عددهم ، لم يكونوا ينهون سنوات القراسة فيها كاملة ، بل لقد كانوا ينقطعون او يفصلون في السنة الثالثة الابتدائية في الغالب . أما أولئك الذين تمكنوا من اجتياز المرحلة الابتدائية كاملة فان نسبة ضئيلة منهم هي التي كان يسمح لها بالالتحاق بالمدارس الثانوية ، وتلك ملاحظة أساسية ستفيد اليها فيما بعد .

ب — أما بخصوص الفترة الثانية التي تهدى من سنة 1945 إلى سنة 1955 فقد عرفت كما قلنا تحولاً نسبياً نجم عنه في الواقع التالي :

أولاً : لقد رفعت سلطات الحماية ، بعد وثيقة الاستقلال مباشرة ، نسبة القبول في الابتدائي ، وهكذا فبعد ان كانت مخططاتها مبنية على أساس قبول 2.500 طفل جديد كل سنة أصبحت الآن تخطط لقبول 10.000 تلميذ جديد . وهذا ما جعل عدد التلاميذ الملتحقين بالمدارس الابتدائية الإسلامية

يقدر من 14.490 تلميذ سنة 1945 الى 114.535 تلميذ سنة 1950 ، الى 190.000 سنة 1953 الى 210.018 في نوفمبر سنة 1954 (ومع ذلك فقد ظلت نسبة المقبولين في المدارس الى عدد البالغين سن الدراسة لا تتجاوز 7.2٪ عام 1945 ، و 7٪ عام 1950 و 11٪ عام 1954) . اما بالنسبة لالمدارس الثانوية المخصصة للمغاربة فلم يكن مجموع الملتحقين بها يتعدى 1.003 سنة 1945 و 2.771 سنة 1950 و 3.839 في نوفمبر 1954 .

اما حصيلة هذه الفترة (1945 – 1955) فقد كانت كما يلى : كان عدد الاحاملين للشهادة الابتدائية لا يتجاوز 4.188 طفل ، وعدد الحاصلين على البكالوريا الاولى 175 ، وعلى البكالوريا الثانية 94 . اما بخصوص اطر التعليم فلم ترتفع نسبة المغاربة المسلمين ضمن رجال التعليم الا بـ 4٪ خلال الفترة المتراوحة بين سنة 1948 وسنة 1954 ، وهي الفترة التي عرفت اوج « اتساع » التعليم الفرنسي في المغرب . كان عدد رجال التعليم الابتدائي سنة 1955 يبلغ 7.772 منهم 3.081 مغربي ما بين مقيم ومدرس . اما في الثانوي فلم يكن عدد المغاربة يتجاوز 47 معلما مقابل 151 استاذًا فرنسيًا .

وبخصوص الوظائف الادارية ندل الاحصائيات على ان عدد المديرين المسلمين ، مغاربة وجزائريين ، لم يكن يفوق 45 شخصا ، وكلهم مدحرون ابتدائيون في المناطق النائية ، وذلك من اصل 1.276 موظف اداري اي ان نسبة المغاربة في الوظائف الادارية التعليمية لم تكن تتجاوز 3.5٪ وهي نسبة تعطينا فكرة واضحة عن اولئك الذين سيتولون مهمة الادارة والتسيير في جهازنا التعليمي غداة الاستقلال .

ثانيا : اما التحول الثاني الذي عرفته السياسة التعليمية الفرنسية

في المغرب بعد عام 1944 فهو التخفيف نسبياً من شروط قبول المغاربة في المدارس المخصصة لابناء الأوربيين ، وهذا امر كانت تلح عليه قيادة الحركة الوطنية الحالها خاصاً منذ الثلاثينيات ، ذلك لأن هذه المدارس هي وحدها التي كانت تتقدم تعليماً عصرياً متنبناً يضمن للمتخرجين منه مستوى لائقاً يمكنهم من متابعة دراستهم العالية والانتساب إلى الطبقة المسيرة . وهكذا تهافتت الملاجات البورجوازية والرأستقراطية التقليدية ، على هذا النحو من المدارس خاصة بعد سنة 1946 . ويكتفى أن نشير هنا إلى أن عدد المغاربة في التعليم الأوروبي (وكلهم من ابناء الاعيان والوجهاء والاغنياء) قد بلغ سنة 1955 نحو 1560 في الثانوي و 4600 في الابتدائي ، هذا في الوقت الذي لم تكن تضم فيه المدارس الثانوية المخصصة أصلاً لابناء المغاربة سوى 4.233 تلميذ . وتلك ظاهرة ستكون لها نتائج خطيرة سنعود إليها بعد قليل .

ثالثاً : وأما التحول الثالث الذي طرأ على السياسة التعليمية الفرنسية في المغرب خلال هذه الفترة ، فترة 1944 – 1954 ، فهو السماح بفتح مزيد من المدارس العربية الحرة ، وهي المدارس التي حرصت الحركة الوطنية على إنشائها في مختلف أقاليم البلاد والتي كانت تمول أساساً من تبرعات الشعب المغربي . لقد كانت هذه المدارس ، مدارس وطنية فعلاً . فاللغة العربية هي المسائدة ، وبها تلقن مختلف المواد الدراسية ، والأساتذة والمشرّفون عليها كانوا في الغالب من المتشبعين بالروح الوطنية ، مما جعلها عبارة عن مراكز للتكوين الوطني مع مسايرة التعليم العصري خطوة خطوة . لقد عرفت هذه المدارس نمواً مطرداً رغم جميع العراقيل التي كانت تضعها سلطات الحماية في طريقها ، والتي كانت تصل في معظم الأحوال إلى تشريد أساتذتها ونفي مدیريها واصدار قرارات باقفالها . ومع ذلك فقد أخذ عدد الملتحقين بها ابتداء من سنة 1944 – وكلهم من الطبقات الفقيرة والمتوسطة – ينمو باستمرار . ويكتفى أن نشير هنا إلى أن عدد تلامذتها لم يكن يتجاوز

سنة 1937 بضعة آلاف في حين أصبحت تضم سنة 1954 ما يزيد على 20.000 تلميذ .

حثا ، لقد كان من الممكن ، بل من الواجب ، ان تصبح هذه المدارس انعرية الحرة أساساً للمدرسة الوطنية المغربية غداً الاستقلال . ولكن الذي حصل هو العكس تماماً . فلقد تحولت إلى مدارس تجارية تساير برامج التعليم الحكومي ، مما أضعف من مضمونها الوطني التحرري ، بل أنها انتهت أخيراً إلى عكس ما انشئت من أجله ، فأصبحنا نراها اليوم تحاول التمسك بأذنياب مدارس البعثة الفرنسية ، بعد أن أصبح التعمير يفرض نفسه على المدارس الرسمية .. كل ذلك بدافع طابعها التجاري المحس الذي سيطر عليها كل السيطرة .

ومهما يكن من أمر فإن هذه المدارس العربية التي انشأتها الحركة الوطنية قد بقيت طوال الفترة التي سبقت الإعلان عن الاستقلال ، مراكز لتكوين الوطني ونشر الثقافة الوطنية ، ولم تكن قط مدارس لتخرج الاطر الفنية المتخصصة . لقد كان معظمها مدارس ابتدائية ، أما الثانويات فلم تكن تتعدى أصابع اليد الواحدة ، هذا بالاضافة إلى أنه لم يكن هناك أي تعليم جامعي يستقطب تلامذتها . كل ذلك جعل تأثير التخرجين منها غداً الاستقلال منعدماً أو يكاد . وبالتالي فإن المسؤوليات والمهام التي بقيت دوماً من « اختصاص » أولئك الذين أسعدهم الحظ .. إبناء التخبئة الحضورية والقووية .

اما بالنسبة للتعليم الاسرائيلي فيمكن القول بصفة عامة انه كان نسخة طبق الأصل من التعليم الأوروبي الذي كان بدوره يساير برامج التعليم في فرنسا خطوة خطوة . لقد كانت المدارس المخصصة لتعليم أبناء اليهود المغاربة صنفان - كما أشرنا إلى ذلك قبل . مدارس أقربطة لاسرائيلية وكانت تضم في نوفمبر 1954 نحو 31609 تلميذ ، وتتميز خاصة بمسايرتها

للقulum الحديث الذى من النوع الاوربى مع عنانة فائقة باللغة العربية والثقافه الدينية اليهودية . اما المصنف الآخر فهو المدارس الفرنسية الاسرائيلية ، وكانت تضم في نوفمبر 1954 نحو 3.531 تلميذ وبرامجها لا تكاد تختلف عن برامج المدارس الاوربية . وعلى الرغم من ان اليهود يعتبرون مغاربة ، فإنه لم يكن في مدارسهم هذه اى مكان للغة العربية والثقافة المغربية . وعلى العموم يمكن التأكيد على ان التعليم بالنسبة لليهود المغاربة كان معمما واجباريا ، لقد كانت المدارس المخصصة لهم تضم ما يزيد عن 90 % من الاطفال اليهود البالغين سن الدراسة .

هذا بالإضافة الى ان ابواب الثانويات الاوربية (الليسيات) كانت مفتوحة في وجوههم ، منذ اول الامر ، دون اى قيد او شرط . والنتيجة هي ان جل الشباب اليهودي المغربي كان يجد نفسه في وضعية تعليمية وثقافية تمكّنه من ولوج سلك الوظيفة بكل سهولة في القطاعات الرسمية والحرفة سواء بسواء . هذا اذا لم يغادروا المغرب لتابعة الدراسة في الخارج او للعمل في جهات أخرى ..

* - *

وبعد ، فما هي النتائج العملية ، الملموسة ، التي اسفر عنها تعليم الحماية بالمغرب ؟

1 — لقد بقيت الانجلزية الساحقة من ابناء الشعب المغربي دون تعليم . واذا تذكّرنا ان سكان الباادية كانوا يشكلون في اواخر عهد الحماية نحو 90 % من مجموع الشعب المغربي ، واذا تذكّرنا كذلك ما قلناه بصدق خلو الباادية المغربية جبالا وسمولا من اى تعليم منظم ، ادركنا مدى هول الكارثة .

— 42 —

نعم لقد كانت هناك زيادة ملحوظة في عدد المسجلين في المدارس ابتداء من عام 1944 ، كما تؤكد ذلك الاحصائيات التي أتبنا بها قبل . ولكن هذه الزيادة — التي كانت مقصورة على المدن الكبيرة والمتوسطة — يجب ان لا نصرفنا عن حقيقة أساسية ، وهي ان نسبة الاطفال المسجلين في المدارس لم تكن تتجاوز حتى سنة 1951 مقدار 7٪ . على ان هذه النسبة على ضالتها تفقد كل اهمية اذا لاحظنا ان الانغلبية الساحقة من التلاميذ لم يكونوا يكملون السلك الذي ينتهي اليه . وفي هذا الصدد تشير بعض الاحصائيات الى ان نسبة التلاميذ الذين اتموا السلك الابتدائي لم تكن تتجاوز حدود 7٪ وان نسبة الخياع كانت تفوق 90٪ .

وافن ، فلقد بقى التعليم في المغرب ، كما خططت له الحماية ، تعليما خاصا بنخبة ضيقة جدا . نخبة تكون اساسا من العائلات الاستقراتية ، وبار التجار .. لقد كانت الوضعية التعليمية تعكس بصدق وامانة الوضعية التطبيقية .

2 — هذه الظاهرة ظهرت تلمسها بشكل جلي اذا قينا نظرة سريعة على هرم التعليم ، خاصة بعد سنة 1944 ، اي خلال الفترة التي سمحت فيها سلطات الحماية بقبول ابناء الوجاهة والاغنياء في المدارس المخصصة لابناء الاوربيين .

فابتداء من هذه السنة تحولت الورجوازية التقليدية من التسابق نحو مدارس الاعيان الى التهافت على المدارس الاوربية ، وتحولت مدارس الاعيان نفسها الى مدارس ثانوية اسلامية ، (كوليجات) ، معظم زينتها من ابناء الطبقة المتوسطة ، وهي مدارس لم يكن تعليمها يتعدى مستوى الشهادة الثانوية (البروفى) في الغالب ، وقد ظلت كذلك الى ما قبل الاستقلال بقليل . لم ينشأ السلك الثاني الثانوى بمدرسة ازوو الا في اكتوبر 1953 . اما

ثانوية البيضاء — الكوليج الاسلامي — فقد ظل اعلى قسم فيها حتى سنة 1954 هو قسم البكالوريا الاولى ، مثلها في ذلك مثل ثانوية مولاي ادريس بفاس وثانوية مولاي يوسف بالرباط . والقليل جدا من تلامذة هذه المدارس هم الذين كانوا يتمكنون من الالتحاق بـ «الليسيات» الاوربية لاتمام دراسته الثانوية والاستعداد للدراسة الجامعية ، ولقد كان هؤلاء في الغلب الاعم من ابناء العائلات المحظوظة اجتماعيا واقتصاديا .

لقد نتجت عن هذا التحول ظاهرة غريبة لفتت انتظار الباحثين ، ذلك ان تهافت العائلات البورجوازية والارستقراطية التقليدية على التعليم الاوربي ، وحرصها على توفير الامكانيات لابنائها ليتابعوا دراستهم العالية ، قد جعل هرم التعليم بالغرب سنة 1955 هرما متسعـا في قبهـه ضيقـا في وسطـه وقاعدـه .

لقد كانت قمة هذا الهرم مساوية في اتساعها لمثيلاتها في البلدان الاوربية المتقدمة ، في حين ظلت قاعدته ضيقة كغيرها من قواعد اهرام التعليم فى البلدان المستعمرة والمتخلفة . ففي سنة 1955 كان عدد المغاربة بالتعليم العالى يشكل نسبة 15٪ من مجموع المسجلين في المدارس ، وهى نسبة تكاد تساوى النسبة المماثلة لها في فرنسا (18٪) هذا في حين كانت النسبة في الثانوى الابتدائى اقل مما في فرنسا بنحو 8 مرات .

وملى سبيل الايضاح والمقارنة نشير الى ان مؤتمر اديس ابابا — وهو مؤتمر لليونسكو عقد خصيصا لمعالجة قضيـا التعليم بافريقيـا — قد حدد النسبـ التي يجب ان يبلغـها التعليم في افريقيـا كما يلى : 51 في الابتدائى ، 9 في الثانوى ، 20 في العالى . هذا في وقت كانت توجد فيه هذه النسبـ في المغرب على الشكل الآتى : 11 في الابتدائى ، 12 في الثانوى ، 0.6 فى العالى . (كان ذلك سنة 1955)

وإذا اخذنا هذه النسبـ التي حددهـا مؤتمر اديس ابابا اساسـا ومقاييسـا ،

فإن النتيجة التي سنخرج منها هي أن عمل فرنسا التعليمي في المغرب قد أسفر في السنة الأخيرة من الحماية عن خمس (1/5) ما يجب أن يكون في الابتدائي ، وثمن (8/1) ما يجب أن يكون في الثانوي ، وثلاثة أضعاف ما يجب أن يكون في العالي ..

3 — والمضمون الاجتماعي لكل هذه الأرقام والنسب هو ان التعليم الفرنسي في المغرب لم تستند منه الجماهير الشعبية اطلاقا . لقد كان — كما قلنا — تعليما خاصا بطبقة ضيقة جدا ، الطبقة التي كان بإمكانها ان تضمن لابنائها — ويمتاز الوسائل — الاستمرار في الدراسة حتى التهاية ، او قريبا منها .

ومن غريب المفارقات ان هذه الطبقة الاجتماعية التي قادت الحركة الوطنية او انتسبت اليها كانت ، بمقدار ما تتحلى لا قومية التعليم في المغرب ، بمقدار ما تدفع ببناتها نحو المدارس الاوروبية . وتلك ظاهرة ما زالت قائمة الى الان .. لقد قامت هذه الطبقة ضد سياسة فرنسا في المغرب ، سياستها التعليمية والاقتصادية والاجتماعية ، ولكن الصورة البديلة التي تكونت لديها عن المغرب كما تريده أن يكون ، هي صورة مستمدۃ أساسا من فرنسا ذاتها ، من نظامها التعليمي واقتصادها الليبرالي . ومن هنا أصبح هم هذه الطبقة غذاء الاستقلال ، وقد كانت هي ودها المؤهلة اجتماعيا وثقافيا لتولى المسؤوليات ، هو العمل على استمرار الوضع القائم وتنميته على أسلس النموذج الفرنسي . أما التغيير الجذري ، أما اعطاء الاستقلال مضمونه الحقيقي ، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، فذلك ما لم تكن قادرة عليه بحكم تكوينها الفكري وانتقامها الاجتماعي . (انظر الفصل المقبل) .

4 — وما دمنا قد اشرنا الى « لا قومية » التعليم الذي اقامته الحماية

فـالـمـغـرـبـ ، فـلـاـ بـأـسـ مـنـ التـذـكـيرـ بـعـضـ الـحـقـائـقـ الـمـعـرـوفـةـ .ـ نـالـتـعـلـيمـ الـاسـلـامـيـ -ـ وـهـوـ الـتـعـلـيمـ الـمـخـصـصـ لـابـنـاءـ الـمـغـارـيـةـ -ـ لـمـ يـكـنـ اـسـلـامـيـاـ الـبـالـاسـمـ .ـ نـقـبـلـ سـنـةـ 1944ـ لـمـ يـكـنـ هـنـكـ أـىـ اـهـتـمـامـ بـالـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـمـوـادـ الـاسـلـامـيـةـ .ـ فـلـقـدـ كـاتـتـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـثـقـافـةـ الـاسـلـامـيـةـ مـمـنـوـعـةـ اوـ شـبـهـ مـمـنـوـعـةـ الـاـ مـاـ كـانـ مـنـ بـعـضـ الـدـرـوـسـ الـدـينـيـةـ فـيـ مـدارـسـ اـبـنـاءـ الـاعـيـانـ .ـ اـمـاـ بـعـدـ سـنـةـ 1944ـ ،ـ وـهـىـ السـنـةـ الـتـىـ تـقـرـرـ فـيـهاـ تـخـصـيـصـ 10ـ سـاعـاتـ فـىـ الـاـسـبـوـعـ لـلـعـرـبـيـةـ وـالـمـوـادـ الـدـينـيـةـ ،ـ مـقـابـلـ 20ـ سـاعـةـ لـلـفـرـنـسـيـةـ وـالـمـوـادـ الـمـدـرـوـسـةـ بـهـاـ ،ـ فـمـقـدـ ظـلـلـتـ الـحـصـصـ الـعـرـبـيـةـ ضـعـيفـةـ هـزـيلـةـ ،ـ غـيرـ خـاصـصـةـ لـاـيـةـ مـرـاقـبـةـ اوـ تـوجـيهـ .ـ وـكـثـرـاـ مـاـ كـاتـتـ حـصـصـ عـيـاءـ وـمـلـلـ لـلـتـلـامـيـذـ :ـ مـالـكـبـ المـدـرـسـيـةـ مـنـعـدـمـةـ تـامـاـ ،ـ وـالـمـلـمـونـ اـشـخـاصـ «ـ يـحـسـنـونـ »ـ الـقـرـاءـةـ وـالـكـتـابـةـ وـيـحـفـظـونـ شـيـئـاـ مـنـ الـقـرـآنـ وـالـفـقـهـ وـأـشـعـارـ الـعـرـبـ ..ـ هـذـاـ فـيـ اـحـسـنـ الـاحـوالـ .ـ اـمـاـ الـتـكـوـيـنـ الـبـيـداـغـوـجـيـ ،ـ اـمـاـ الـتـدـرـيـسـ وـمـقـدـ اـلـاسـالـيـبـ الـمـعـرـضـيـةـ مـذـلـكـ مـاـ كـانـواـ يـجـهـلـونـهـ بـالـرـةـ .ـ لـقـدـ كـانـ يـطـلـبـ مـنـ الـتـلـامـيـذـ اـنـ يـحـضـرـوـاـ وـيـحـفـظـوـاـ ..ـ وـكـثـرـاـ مـاـ كـانـ الـمـطـلـوبـ مـنـهـمـ حـفـظـهـ يـفـوقـ مـسـتـوـاهـ الـفـكـرـىـ بـكـثـيرـ ..ـ

اـمـاـ فـيـ الـثـانـويـاتـ الـاسـلـامـيـةـ فـلـقـدـ كـاتـتـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ لـغـةـ اـجـنبـيـةـ مـثـلـاـ مـثـلـ الـاـلمـانـيـةـ وـالـاـنـجـليـزـيـةـ ،ـ بـلـ انـهـاـ كـاتـتـ تـعـتـبـرـ اـحـيـاتـاـ لـغـةـ ثـانـيـةـ مـثـلـهاـ مـثـلـ الدـارـجـةـ الـمـغـرـيـةـ الـتـىـ كـاتـتـ تـقـبـلـ كـلـفـةـ ثـانـيـةـ بـدـلاـ مـنـ الـعـرـبـيـةـ الـفـصـحـىـ .ـ وـاـمـاـ «ـ الـلـيـسـيـاتـ »ـ الـثـانـويـاتـ الـاـلـوـرـبـيـةـ الـتـىـ كـاتـتـ قـبـلـةـ اـبـنـاءـ النـخبـةـ الـتـىـ تـحـدـقـاـ عـنـهـاـ ،ـ فـلـمـ تـكـنـ تـعـيـرـ اـىـ اـهـتـمـامـ لـتـعـلـيمـ الـعـرـبـيـةـ لـابـنـاءـ الـمـغـارـيـةـ .ـ وـكـلـ مـاـ كـانـ هـنـكـ هوـ دـرـوـسـ خـاصـةـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ اوـ الدـارـجـةـ تـلـقـنـ بـالـفـرـنـسـيـةـ لـلـفـرـنـسـيـيـنـ كـلـفـةـ ثـانـيـةـ ،ـ وـتـتـخـذـ مـادـةـ لـهـاـ قـصـصـاـ خـراـفـيـةـ وـحـكـاـيـاتـ تـشـوـهـ بـالـمـفـرـبـ وـتـارـيـخـهـ وـحـضـارـتـهـ .ـ

وـهـكـذـاـ كـاتـتـ الـحـصـصـ الـمـخـصـصـةـ لـلـعـرـبـيـةـ ،ـ سـوـاءـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ الـاـبـدـائـيـةـ اوـ الـثـانـويـةـ ،ـ ذـاتـ نـتـيـجـةـ سـلـبـيـةـ جـداـ .ـ لـقـدـ رـسـخـتـ فـيـ اـذـهـانـ الـتـلـامـيـذـ صـورـةـ

مشوهة عن العربية وثقافتها ، مما جعلهم يكتسبون رد فعل سلبي لأشعورى ضد كل ما هو عربى ، وهو رد فعل ما زالت آثاره قائمة في بعض الأوساط المثقفة .

ان هذا لا يعني ان مضمون المواد التي كانت تدرس بالفرنسية كان احسن حالا من مضمون المواد العربية . غير انه يجب ان لا ننسى ان قدرة الأطفال على المقارنة تكاد تنحصر في الشكل والأسلوب . وبالفعل فلقد كان جل المعلمين بالفرنسية ، فرنسيين ذوى تكوين بيادغوجى لائق . وكان استعمالهم لأساليب التدريس الحديثة ، مع جدة المواد التي كانوا يدرسونها ، عاملأ أساسيا في تركيز شعور الامجاح ، لدى اطفالنا وشبابنا ، بكل ما هو فرنسي ، مقابل الشعور بالاحتقار والغفور لكل ما هو عربى .

اما عن مضمون الدراسة ، فيقدر ما كان محتوى الحصص المخصصة للغربية منتميا الى عصور الاتحاط ، يقدر ما كان مضمون المواد المدرستة بالفرنسية ليبراليا استعماريا .. ليس المهم ما يتلقاه الأطفال من دروس اللغة والمحادثة والحساب والأشياء .. ولكن المهم هو ما يبقى في ذهنهم بعد ان ينسوا كل ذلك .. ان ما يبقى — وما زال باقيا — هو التوجيه الاستعماري ، وعقل مؤطرة ضمن هذا التوجيه .

5 — بقى علينا ان نقول كلمة موجزة عن التعليم الوطنى ، الاصلى منه والحر العربى . لقد عرف التعليم الاصلى ثموا وتطورا نسبيين منذ عام 1944 ، ولكن ذلك ، كان كما قلنا قبل ، في اطار الوضعيه التي ورثها عن عهد ما قبل الحماية . فلم يعرف هذا النوع من التعليم اية تعديلات عميقه سواء في شكله او في مضمونه ، مثل تلك التي عرفتها جامعة الازهر بالقاهرة مثلا . ولذلك بقى تأثيره في الحياة الثقافية محدودا جدا ، على الرغم من انه

تد استطاع ان يفرض نفسه غداة الاستقلال كنوع كان يدخل في الحساب دوما . وسفرى تفصيل ذلك في الفصول المقبلة .

اما التعليم الحر ، فلقد خلق ، كما قلنا ، تيارا وطنيا متحررا بحكم طابعه العربى ، وبتأثير الوضعية الاجتماعية لرواده ، وهم في الغالب من أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة . وبما أن هذا النوع من التعليم كان مبتورا لافتقاره الى مؤسسات عالية تستقطب المترججين منه ، فلقد كان على هؤلاء ان يتوجهوا الى الشرق العربى ، حيث تمكنت افواج عديدة منهم من اتمام دراستها في الجامعات العربية ، في القاهرة ودمشق خاصة ، مما جعل ذلك التيار الوطنى الذى خلقه هذا النوع من التعليم يتعمق ويتسع .

وإذا كان هذان النوعان من التعليم لم يمنحا للمترججين منها نفس الحظوة والامتيازات التى حظى بها أولئك الذين درسوا في المدارس والجامعات الفرنسية ، فإنهما قد زودا جهاز التعليم غداة الاستقلال باطرار عربية ساعدت كثيرا على حل مشكلة الامر التعليمية التى عانى منها المغرب كثيرا آنذاك . كما انهما قد خلقا تيارا عربيا قوميا طفى — رغم محالته أحيانا — على حياتنا الثقافية عموما . وافن ، فلقد وجد المغرب نفسه غداة الاستقلال امام مقلتين ، وبالاحرى امام نمطين فكريين متنافرين الى حد كبير : **النمط الغربي** ، الذى انتجه المدارس الفرنسية ، الاوروبية منها و(الاسلامية) والنمط العربى الاسلامى الذى انتجه المدارس العربية الحرة وكليات التعليم الاصلى وجامعات الشرق . ولقد جذر هذا التناقض ، اختلف الوضعية الاجتماعية للمنترين لهذا النمط او ذاك ، مما جعل الصراعات الفكرية والاختلافات الثقافية تعكس ، الى حد بعيد الصراعات الاجتماعية والطبقية . نعم ، انه ليس من الحكمة ان يعمم الارء مثل هذه النتيجة ، ولكنها مع ذلك كانت ، في الواقع ، شبه عامة ، خاصة في السنوات الاولى من الاستقلال ، اي قبل ان تتحرك التناقضات الاجتماعية بشكل يبارز .

تلك ، عنى العموم ، هي اهم النتائج التي اسفرت عنها تعليم الحماية في المغرب . نتائج تعليمية ، ولكنها ذات ابعاد سياسية واجتماعية خطيرة ، مستعملاً آثارها على اهم المشاكل التي سيرتطم فيها المغرب المستقل ، وعلى رأسها مشكل التعليم ذاته .

المراجع :

بالاضافة الى المراجع المذكورة في آخر الفصل الماضي ، نشير الى المراجع التالية ومنها استقينا مختلف الاحصائيات التي أتبنا بها في هذه الحلقة .

- 1 - LADISLAV CERYCH : *Européens et Marocains 1930 - 1956. Sociologie d'une décolonisation.* Bruylants (Belgique) - 1964.
- 2 - R. GAUDEFROY DEMOMBYNES :
L'Œuvre Française en matière d'enseignement au Maroc. Paris - 1928.
- 3 - Répertoires des Services et des Etablissements publics d'enseignement au Maroc.